

تفسير البحر المحيط

@ 242 @ جميعهم ، وكفوا خوفاً من أن يقع بهم ما وقع القسم عليه ، وهو الإغراء والجلاء والأخذ والقتل . وقيل : لم يمثلوا لانتهاء جملة ، ولا نفذ عليهم الوعيد كاملاً . ألا ترى إلى إخراجهم من المسجد ، ونهيه عن الصلاة عليهم ، وما نزل فيهم في سورة براءة ؟ وأبعد من ذهب إلى أنه لم ينته هؤلاء الأصناف ، ولم ينفذ الوعيد عليهم ، ففيه دليل على بطلان القول بإنفاذ الوعيد في الآخرة ، ويكون هذا الوعيد مفروضاً ومشروطاً بالمشيئة .

{ سُنْدَةُ اللَّامِ } : مصدر مؤكد ، أي سن إلى الذين ينافقون الأنبياء أن يقتلوا حيثما طفر بهم . وعن مقاتل : كما قتل أهل بدر وأسروا ، فالذين خلوا يشمل أتباع الأنبياء الذين نافقوا ، ومن قتل يوم بدر . { يَسْئَلُكَ الذَّاسُ } : أي المشركون ، عن وقت قيام الساعة ، استعجالاً على سبيل الهزء ، واليهود على سبيل الامتحان ، إذ كانت معمى وقتها في التوراة ، فنزلت الآية بأن يرد العلم إلى الله ، إذ لم يطلع عليها ملكاً ولا نبياً . ولما ذكر حالهم في الدنيا أنهم معلونون مهانون مقتولون ، بيّن حالهم في الآخرة . { وَمَا يُدْرِيكَ } : ما استفهام في موضع رفع بالابتداء ، أي : وأي شيء يدريك بها ؟ ومعناه النفي ، أي ما يدريك بها أحد . { لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً } : بين قرب الساعة ، وفي ذلك تسلية للممتحن ، وتهديد للمستعجل . وانتصب قريباً على الطرف ، أي في زمان قريب ، إذ استعماله ظرفاً كثيراً ، ويستعمل أيضاً غير ظرف ، تقول : إن قريباً منك زيد ، فجاز أن يكون التقدير شيئاً قريباً ، أو تكون الساعة بمعنى الوقت ، فذكر قريباً على المعنى . أو يكون التقدير : لعل قيام الساعة ، فلوحظ الساعة في تكون فأنث ، ولوحظ المضاف المحذوف وهو قيام في قريباً فذكر .

{ يَوْمَ تَقْلَبُ وَجُوهُهُمْ فِي الذَّارِ } : يجوز أن ينتصب يوم بقوله : { لَا يَجِدُونَ } ، ويكون يقولون استئناف إخبار عنهم ، أو تم الكلام عند قولهم : { وَلَا نَصِيرًا } . وينتصب يوم بقوله : { يَقُولُونَ } ، أو بمحذوف ، أي اذكر ويقولون حال .

وقرأ الجمهور : تقلب مبنياً للمفعول ؛ والحسن ، وعيسى ، وأبو جعفر الرواسي : بفتح التاء ، أي تتقلب ؛ وحكاها ابن عطية عن أبي حنيفة . وقال ابن خالويه عن أبي حنيفة : نقلب بالنون ، وجوهم بالنصب . وحكاها ابن عطية عن أبي حنيفة أيضاً وخارجه . زاد صاحب اللوامح أنها قراءة عيسى البصري . وقرأ عيسى الكوفي كذلك ، إلا أن بدل النون تاء ، وفاعل تقلب ضمير يعود على { سَاعِيرًا } ، وعلى جهنم أسند إليهما اتساعاً . وقراءة ابن أبي عبله : تتقلب بتاءين ، وتقلب الوجوه في النار : تحركها في الجهات ، أو تغييرها عن

هيئاتها ، أو إلقاؤها في النار منكوسة . والظاهر هو الأول ، والوجه أشرف ما في الإنسان ، فإذا قلب في النار كان تقليب ما سواه أولى . وعبر بالوجه عن الجملة ، وتمنيهم حيث لا ينفع ، وتشكيهم من كبرائهم لا يجدي . وقرأ الجمهور : { سَادَ تَدَا } ، جمعاً على وزن فعلات ، أصله سودة ، وهو شاذ في جمع فيعل ، فإن جعلت جمع سائد قرب من القياس . وقرأ الحسن ، وأبو رجاء ، وقتادة ، والسلمي ، وابن عامر ، والعامه في الجامع بالبصرة : ساداتنا على الجمع بالألف والتاء ، وهو لا ينقاس ، كسوقات ومواليات بني هاشم وساداتهم ، رؤساء الكفر الذين لقنوه الكفر وزينوه لهم . قال قتادة : ساداتنا : رؤساؤنا . وقال طاوس : أشرافنا ؛ وقال أبو أسامة : أمراؤنا ، وقال الشاعر : % (تسلسل قوم سادة ثم زادة % .

يبدون أهل الجمع يوم المحصب .

% .)

.

ويقال : ضل السبيل ، وضل عن السبيل . فإذا دخلت همزة النقل تعدى لاثنين ؛ وتقدم الكلام على إثبات الألف في الرسولا والسبيلا في قوله : { وَتَطُؤُونَ بِالْأَسْفَلِ الطُّؤُونَ } . ولما لم يجد تمنيتهم الإيمان بطاعة الله ورسوله ، ولا قام لهم عذر في تشكيهم ممن أضلهم ، دعوا على ساداتهم . { رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَدَابِ } : ضعفاً على ضلالهم في أنفسهم ، وضعفاً على إضلال من أضلوا . وقرأ الجمهور : كثيراً بالثاء المثلثة . وقرأ حذيفة بن اليمان ، وابن عامر ، وعاصم ، والأعرج : بخلاف عنه بالباء . { كَذَلِكَ يَنْهَؤُنَّ عَنِ الْعَدْوِ } ، قيل : نزلت في شأن زيد وزينب ، وما سمع فيه من قاله بعض الناس . وقيل : المراد حديث الإفك على أنه ما أودى نبي مثل ما أوديت . وفي حديث الرجل الذي قال لقسم قسمه رسول الله : إن هذه لقسمه ما أريد بها وجه الله ، فغضب وقال : رحم الله أخي موسى ، لقد أودى أكثر من هذا فصبر . وإذاية موسى قولهم : إنه أبرص وأدر ، وأنه حسد أخاه